

طويلا قبل ان يجب ، فإتد كانت ملاحظة جديدة وغريبة بالنسبة له ... وكأنه قد تذكر الأرض فقتال :

— لانهم يعملون بأيديهم ...

أجل لانهم يعملون بأيديهم في — التراب — وهو يعمل بيديه في — النار — هو الطفل الفلسطيني الذي بدأ تعامله مع النار وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره ... ولم يكن يخطر له على بال في ذلك الوقت ، ان التحام النار الفلسطينية ، بالتراب الفلسطيني ، هو وحده الذي سيصوغ الوجه الجديد ، لوطن اسمه : فلسطين ...



طيلة أيام وليالي الاجازة الصيفية ، كان يقضي الساعات الطويلة ، خلف الوجداق ، في متهى ... أبيه ... كان يصنع ويقدم أقداح الشاي ، الى تلك الأيدي الكبيرة التي اسمها : الفلاحون ...

بعد أن تنتهي أيام وليالي الاجازة ... ، كان عليه ان يعود الى المدرسة ... ان يعود الى القراءة والكتابة ... واللوح الاسود ، واصابع الطباشير ...

وما اكثر ما كان ينظر الى يد مدرسه ، وهو يكتب فوق اللوح الاسود ... باصبع الطباشير ، ويفاجأ الطفل ، ان يد مدرسه ، كبيرة هي الأخرى ، كأيدي الفلاحين ، الذين كان يقدم لهم أقداح الشاي ، وكم كان يلح عليه ، ان يسأل مدرسه ، كما سأل والده ، ذات ليلة :

— لماذا يدك كبيرة ...؟

ولعل ذلك المدرس ، لو واجهه ذلك الطفل ، بذلك السؤال عن يده لاجاب :

— لانني اكتب ... يا « باجس أبو عطوان ... »

الآن أقدم لكم اسمه ... « باجس أبو عطوان » ...

هكذا وبكل ما في اصبع الطباشير من عفوية ، وبكل ما في الفأس من عفوية وبراءة ... يبدأ الطفل ، يربط بين صورة اصبع الطباشير ، وبين الفأس ... لقد اتحدت الصورتان ... في صورة واحدة ... ومنذ ذلك اليوم ، احب « باجس أبو عطوان » ، أولئك الذين يفلحون الأرض بالفؤوس ، وأولئك الذين يفلحون الورق بالاقلام ...



— « باجس » ، هل تعبت ...؟

كان الأب يسأل ابنه ، وهما ينطلقان من « دورا » الى « خربة الطبقة » .

ولعل الطفل قد تعبت ، ولكنه فيما يشبه الاصرار الطفولي على رفض التعب كان صوته يرتفع :

— لا ... لم اتعب ...

معجزة الفلسطيني في قدمه ، وانا لا اكتشف سرا للعدو ... فالفلسطيني يذبح من قدمه ... ومن أجل هذا « فهم » يعطون الفم الفلسطيني ألف كيلو متر من الهواء ... لكي ينطلق فوقه صوته ومن أجل هذا « فهم » يعطون اليد الفلسطينية ، ألف كيلو متر من الورق لكي تكتب فوقها ... أما أمام القدم الفلسطينية ... فهناك الاسلاك الكهربائية وهناك الاسلاك الشائكة ... ، وهناك حقول الالغام ... وهناك مليون جرس أنذار ... يدق ... كلما لمست قدم فلسطينية ، شبرا من الأرض ...